سرقة السيارة الصاروخ

محمود سالم

سرقة السيارة الصاروخ

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

سرقة السيارة الصاروخ

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، ونسدور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٣ ٢٩٥٥ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ٢٠٠٠.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
سرقة البراق!	١١
جزيرة موت!	١٥
حقيقة أم وهم؟!	١٩
انقطاع التيار!	٢٣
اللعبة الغامضة!	٢٧
مهمة استطلاعية!	٣١
التوجيه عن بعد!	٣٥
الضابط المتمرد!	٣٩
تمرُّد وعصيان عام!	٤٣
الانفجار الرهيب!	٤٧

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتى وفتاة في مثل عمرك، كل منهم يمثل بلدا عربيا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجهة إلى الوطن العربي ... تمرنوا في منطقة الكهف السري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعا يجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرة يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يره أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

سرقة البراق!

انتشرت شائعةُ سرقة السيارة «البراق» بين العاملين في المقر السري الكبير بالصحراء الغربية بسرعة كبيرة.

ولم يتمكَّن أحدُ قيادات المنظمة من الوصول إلى مصدر هذه الشائعة.

ولم يَعُد أمامهم مفرٌّ من الاتصال برقم «صفر» في المدينة الألمانية «هايدلبرج» والتي لم يغادرها بعدُ ... واطِّلاعه على مضمون الشائعة، وسؤاله عما لديه من معلومات عنها، ولكن ... ألم يكن من الأجدى الاتصال بالمقر الفرعي بالهرم؟

فالسيارة بحوزة «أحمد»، وإن كانت قد سُرقت فمن المؤكد أن القيادة الأمنية كانت ستعرف ذلك في حينه.

والمثير في الأمر ... أن ما كان يدور في المقر الكبير، لم يكن يعلم عنه أحدٌ في المقر الفرعي شيئًا!

وعندما اتصل رقم «صفر» بـ «أحمد» ليُبلغَه بميعاد عقد اجتماع عاجل، كان «أحمد» يستقل البراق، ويُجري بها مناورات في صحراء سيناء.

وكان بقية الشياطين يُعسكرون على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، في معسكر تدريبي وعند عودته، ولم يجد حول الخيمة الرئيسية سوى «إلهام» و«زبيدة» و«فهد» ... وعرَف منهم أن بقيةَ الشياطين على وشك الوصول.

فقام بإعداد أجهزة الكمبيوتر المحمولة الخاصة بهم، وتجهيزها للدخول على الشبكة، وقبل أن يتصل بهم ليستدعيَهم، كانت «إلهام» تُخبره بأنهم ينتظرونه جميعًا ... ليتناولوا غداءَهم سويًّا.

وقد كان غداءً رائعًا من السمك الطازج، الذي قام بصيده كلٌّ من «عثمان» و«مصباح» و«قيس»، وقبل أن يسألوه رأيه فيما يأكل ... انطلقَت الموسيقى من تليفونه المحمول تُنبهه إلى أن هناك مَن يتصل به.

وعرف أنه رقم «صفر»، فأشار للجميع بالتوقف عن الأكل، والاستعداد لحضور اجتماع طارئ معه.

وتحوَّلت حواسُّ الشياطين عن الطعام، وانتبهَت لتلقِّي ما سيُخبرهم به رقم «صفر» من أخبار، وما سيُكلفهم به من مهام.

وخلف شاشات «البلازما» المزودة بها أجهزة الكمبيوتر الخاصة بهم ... جلسوا جميعًا حيث اصطفَّت الخطوط البيانية المتراصة ... والتي تدل على وجود رقم «صفر» بينهم ... وبدأت تتراقص على الشاشة ارتفاعًا وانخفاضًا، عندما بدأ حديثَه قائلًا: يوم سعيد لكم جميعًا.

ولم ينتظر ليسمع ردَّ تحيته، بل استطرد قائلًا: هناك شائعة سارية في المقر الكبير تقول إن السيارة البراق قد سُرقت!

أحمد: إنها في عهدتي يا سيد «صفر».

رقم «صفر»: أعرف ... وأعرف أيضًا مصدر هذه الشائعة.

إلهام: هل هو مركز الإعلام الخاص بالمنظمة؟

رقم «صفر»: لا ... بل أنا مصدرها.

أحمد: وهل لهذه علاقة بمهمة جديدة؟

رقم «صفر»: خبر سرقة البراق.

«إلهام»: وهل الخبر صحيح؟

أحمد: صحيح كيف والسيارة تقف أمامك يا «إلهام»؟

رقم «صفر»: بل الخبر صحيح يا «أحمد».

اندهش «أحمد» لما سمعه وكذلك بقية الشياطين ... وقبل أن تنهال أسئلتُهم عليه استطرد قائلًا: لقد رأيت بعيني سيارةً تُشبه «البراق» تمامًا، في ساحة الاختبار الخاصة بأحد مصانع السيارات.

ريما: وأين هذا المصنع؟

رقم «صفر»: في مدينة «شتوتجارت».

أحمد: إنها تتبع نفس الولاية التي تُقيم فيها يا زعيم.

عثمان: ولاية «بادن»، أليس كذلك؟

رقم «صفر»: بل إنها عاصمة ولاية «بادن»، وقلعة صناعة السيارات في «ألمانيا».

قيس: ولكن الأمر لا يزيد على كونه تشابهًا في التصميم الخارجي ... أليس كذلك؟

رقم «صفر»: هذا ما ظننته في أول الأمر، ولكن ... ولدواعي الأمن، طلبت من أجهزة المخابرات في المنظمة أن تقوم بتحرياتها الخاصة ... لمعرفة إمكانياتها ... ومدى تشابه تصميمها مع تصميم البراق.

هدى: وهل ترى يا زعيم أن سرقة تصميم البراق أمر خطير؟

رقم «صفر»: بالطبع لعدة أسباب، أولها ... أن إمكانيات هذه السيارة تحقِّق لنا المرونة في التحرك والقدرة على المناورة والسرعة في أداء المهام.

والأهم من ذلك كلِّه أنها تحقق لنا عنصر التفوق التكنولوجي، وهو العامل المساعد الأعظم في تحقيق النصر.

أحمد: وثانيًا؟

رقم «صفر»: وثانيًا أن سرقة التصميم الداخلي تعني أن هناك مَن يخوننا.

ريما: ولكن معرفة تصميم سيارة تتحرك على الطريق لا تحتاج لسرقة!

رقم «صفر»: سأترك إجابة هذا الاستفسار لـ «أحمد».

أحمد: شكرًا سيادة الزعيم. وردًّا على «ريما» أقول: الأوامر التي صدرَت لي عند تسلمي «البراق».

كانت أولًا: التحرك بها في طرق مفتوحة غير مزدحمة.

ثانيًا: عدم الانتظار بها في الطريق.

ثالثًا: عدم استخدام إمكانياتها في القفز والسرعات العالية ... إلا عند خلوِّ الطريق من المارة أو في الظروف الحرجة جدًّا.

وكلها كما ترون اعتبارات أمنية تهدف إلى عدم تمكين أحد على الطريق من تصويرها بكاميرات ضوئية عادية ... أو بكاميرات حرارية إلكترونية.

إلهام: ومَن الذي سيهتم بتصويرها أو سرقة تصميمها؟

رقم «صفر»: مخابرات الجهات البحثية التي تعمل في مجال تطوير السيارات ... وهي بالطبع تتبع مصانع السيارات الكبيرة.

إلهام: وميزانية هذه الشركات أصبحت كبيرة إلى درجة تمكنها من استخدام طرق ووسائل أكثر تقدُّمًا في التجسس.

رقم «صفر»: مثل ماذا؟

إلهام: الأقمار الصناعية مثلًا.

رقم «صفر»: لم يَغِب هذا الأمر عن بالنا وقد قمنا بسؤال مراكز بحوث القيادة التي توصَّلت إلى تصميم البراق.

أحمد: وماذا كانت النتيجة؟

رقم «صفر»: البراق مجهزة بحيث لا يمكن للأقمار الصناعية أن تصور إلا هيكلها الخارجي!

ريما: ولكن هل رأيت تحركات السيارة شبيهة البراق؟

رقم «صفر»: حتى الآن لم أشاهد إمكانياتها الحقيقية، ولكن وجودها يعني أحد أمرين ...

أولهما: أن يكون قد تم تسريب أسرار صناعتها.

وثانيهما: أنهم في الطريق للوصول إليها.

أحمد: كيف؟

رقم «صفر»: إما بالسطو على مركز بحوث المقر، أو بسرقة البراق.

أحمد: والمطلوب؟

رقم «صفر»: إعدادُ تقريرٍ وافٍ عن البراق، وتحركاتها السابقة، وتصوراتكم للخطوة التالية.

هذا من ناحية ... ومن الأخرى عليكم بالحذر ... فالعاملون في مجال سرقة الأسرار التكنولوجية ... لا يتورعون عن القتل.

جزيرة موت!

رأى الشياطين أن الموضوع خطير، وأن التعامل معه يتطلَّب سرعة التحرك، وأنهم في حاجة لعقد اجتماع عاجل ... لذا فقد وافقوا على اقتراح «أحمد» بالتوجُّه إلى المقر السري الفرعي بشارع النبي «إلياس» بمدينة «العريش»؛ فهو أقرب لهم كثيرًا عن مقرِّهم بالقاهرة.

وقد تذكَّر «عثمان» أنه لم ينزل في هذا المقر طوال فترة عمله مع الشياطين إلا مرة واحدة، وعندما سألَته «ريما» عنه أجاب قائلًا: ألم تزوريه يا «ريما»؟

ريما: لم يحدث.

عثمان: إنه يقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، ويتوسط عدة فلل رائعة الجمال.

أحمد: نعم هو يتوسطهم، إلا أنه محاطٌ بمدينة كبيرة تفصله عنهم.

عثمان: تقصد النواحي الأمنية؟

ريما: بالطبع فهي أهم صفة لمقارنا.

عثمان: سترون كلَّ شيء بأعينكم.

قال ذلك وهو ينتفض واقفًا، مما دفع «أحمد» للتعليق قائلًا: ألم يُعجبك تعقيبي يا «عثمان»؟

عثمان: لماذا ... أنا فقط أستعد للتحرك ... أم سننتظر حتى تغيب الشمس؟

إلهام: لقد قمنا بجمع حاجياتنا وأغلقنا الحقائب.

فهد: لقد تركت سيارتي بالقرب من جزيرة «الموت»!

زبيدة: جزيرة ماذا؟

أحمد: جزيرة اللحد، هذه أرض صغيرة أعلى من مستوى البحر بقليل، وتقع على بعد حوالي ميل من الشاطئ، ومَن يراها عن بُعد يظنها مقبرة.

ريما: لماذا لم نرها على الخريطة؟

وهنا ضحك «عثمان» كثيرًا حتى أثار ضحكاتِ الشياطين، وحنَق «ريما» التي قالت له في ضيق وانفعال ظاهر: ماذا يُضحكك في هذا؟

وبابتسامة عريضة، قال لها «أحمد»: إنها يا «ريما» جزيرة صغيرة جدًّا، لا تزيد مساحتها عن خمسين مترًا مربعًا ... وهي من اكتشاف «قيس» ... وهو الذي أطلق عليها هذا الاسم!

ريما: ولكن ليس فيما قلته ما يضحك.

عثمان: أنا لم أقصد السخرية منك يا «ريما» ... ولكني كنت سأنصحك نصيحةً ما، ثم عدلت عنها ... وهذا ما أضحكني.

ريما: وما هي النصيحة؟

عثمان: أن تبحثي عنها في صفحة الوفيات.

حاولت «ريما» أن تقاوم ابتسامةً خرجَت رغمًا عنها من أعماقها، ثم ما لبثت أن انفجرَت في الضحك، مما أزال التوتر وأشاع جوًّا من البهجة بين الشياطين.

ولم تنقطع تعليقاتهم وابتساماتهم، وهم في طريقهم إلى جزيرة «الموت»؛ حيث ترك «قيس» سيارته وقبل أن تغيب الشمس، كان الشياطين يطلُّون على الجزيرة، وكلُّهم شوقٌ للنزول على أرضها، غير أن ذلك كان يحتاج إلى استعدادات خاصة، ووقت مبكر، وقد قاربت الشمس على المغيب.

فاستدار «أحمد» بسيارته والتي كانت معه فيها «إلهام» عائدًا إلى الطريق الرئيسي ومن خلفه سرب سيارات «اللاندروفر»، لينطلق الجميع في اتجاه مدينة العريش؛ حيث شارع النبي «إلياس»، وشاطئ المتوسط، ومقر المنظمة الفرعي المثير.

وقبل بلدة «رمانة» بعدة كيلومترات، كان الظلام قد فرض قوانينه على المكان ... فاختفَت منازل البلدة من على جانبَي الطريق ... ولم يَعُد يظهر منها إلا شعاعات ضوء ضعيفة جدًّا ... ويكاد تدل على أن هذا المكان مأهولٌ بالسكان.

وكما بلغوها في ثوانٍ معدودات؛ فقد كانت البراق تلتهم الطريق ومن خلفها سرب سيارات «اللاندروفر» تحاول اللحاق بها.

وعند مدخل مدينة العريش، تبدَّت عن بُعدٍ أنوارُ المحال التجارية ... ومن حولها أعمدة الإنارة تُضئ شبكة الطرق المتقاطعة ... وعند أول منحنى، انحرف الشياطين يسارًا قاصدين شاطئ المتوسط.

وبعد مسير خمس دقائق ... رأى «عثمان» عن بعد الفندق المجاور لمقر المنظمة ... لكنه لم يرَ المقر، فأصابَته الحيرة واتصل بـ «أحمد» يُخبره أن الشارع ليس هو ولكن الفندق هو الفندق.

قال له «أحمد»: المهم المقر.

عثمان: غير موجود!

أحمد: بل موجود يا «عثمان».

كانت البراق قد وصلَت إلى مبنى من ثلاثة أدوار تُحيطه حديقة واسعة يلفُّها سورٌ عالٍ.

وقبل أن تبلغ بابها بمسافة كبيرة، انفتح الباب.

وما كادت فتحتُه تسمح بمرور سيارة، حتى كانت البراق تعبره إلى الممر المرصوف الذي يقطع الحديقة حتى نهايتها مارًّا بمبنى المقر ... ومن خلفها سرب «اللاندروفر» وعبر منعطف صغير فيه، انحرفت السيارات إلى مدخل جراج فسيح في نهايته بوابة إلكترونية ... تعلوها كاميرا خفية لا يظهر منها إلا العدسة فقط ...

وحين غادر الشياطين سياراتهم، تركوها على حالتها واتجهوا إلى ذلك الباب الذي انفتح بمجرد أن بلغوه، وقد كان يُفضي إلى مصعد فسيح أيضًا؛ حيث استوعبهم جميعًا في سعة ... ثم انغلق بابه، وتحرك صاعدًا لبضعة مترات، توقَّف بعده للحظة ثم عاد للتحرك أفقيًّا ... وكأنه يسير بهم داخل المبنى للحظات أيضًا، ثم توقَّف وانفتح بابه مرة أخرى ليكشف عن ممرٍّ واسع تصطفُّ على جانبَيه الغرف، وينتهي بقاعة فسيحة يغمرها ضوءٌ مبهر.

وفي تثاقل، غادر الشياطين المصعد وهم مبهورون بما يرون ... فقد تطور المقرُّ تطورًا كبيرًا، وتغيَّرت الكثيرُ من معالمه.

وعندما غادر آخر عضو من الشياطين المصعد انغلق بابه، وانسحب عائدًا إلى أول الممر وسط صيحات الدهشة من الشياطين، ثم بدأ يغوص في أرض المقر ببطء حتى اختفى. وعلى صيحة «عثمان» أفاقوا من دهشتهم ... فقد سروا كثيرًا لأن أحدَ مقارهم الفرعية مزودٌ بهذه الإمكانيات، التي لم يروها إلا في المقر الكبير.

ومن فتحة علوية ... امتدَّت ماسورة تحمل رجلًا آليًّا صغيرًا «روبوت» حتى أوصلَته إلى الأرض، ثم انسحبَت وهي تتداخل في بعضها كهوائي الراديو، إلى أن اختفَت داخل الفتحة ... لتختفيَ بعدها الفتحة وكأنها غير موجودة.

وفي رشاقة مبهرة، تحرَّك الروبوت مشيرًا لهم أن يتبعوه.

وشعر «عثمان» أن كرامته قد جُرحَت، فكيف لهذا «الروبوت» القزم أن يقوده دون أن يستشيرَه، ودون أن يعلم إلى أين يقوده؛ لذلك فقد قرر أن يشكوه لـ «أحمد» الذي غالب ضحكته، وهو يقول له: ولماذا تعذب نفسك هكذا يا «عثمان»؟ اسأله إن شئت لتعرف إلى أين يقودك؟

عثمان: نعم سأسأله ثم أوبخه.

إلهام: تسأله نعم ... ولكن لماذا توبخه؟

عثمان: لطريقة الإشارة التي استخدمها معي في استهانة بالغة، ألا يعلم من أنا؟

سرَت بين الشياطين ضحكاتٌ مكتومة، قطعَتها «إلهام» قائلة له: لقد أشار لنا جميعًا إلا أنت فقط!

وقبل أن يردَّ «عثمان» عليها ... كانوا قد بلغوا قاعة فسيحة ... مفروشة بأثاث فخم مريح.

وتتصدرها مائدةٌ متوسطة الارتفاع يقبع عليها تليفزيون ضخم التفُّوا حوله حين سمعوا مذيعةَ نشرة الأخبار تتحدث عن حادثة سرقة البراق!

حقيقة أم وهم؟!

ما لا تعرفونه عن البراق هذه أنها سيارة ذات إمكانيات خاصة جدًّا، وقدراتها تفوق كلَّ القدرات التكنولوجية المزودة بها السيارات التي تجري على الطرق في كل أنحاء العالم.

فهي تستطيع تخطِّي كلِّ العوائق لتحتفظ بسرعتها حتى تَصِل إلى محطتها الأخيرة في الوقت المحدد لها.

فهد: وما المقصود بمحطتها الأخيرة؟

أحمد: المكان الذي يقصده قائدها!

وعادوا إلى الاستماع إلى التقرير العلمي مرة أخرى؛ حيث قالت المذيعة: إن تلك السيارة هي ثمرة جهد مشترك بين علماء منظمة «س. ك. س» وقد صممَت خصيصًا لمعاونة الفريق العربي المسمَّى بالشياطين الـ «١٣».

هذا وسوف نُوافيكم بالجديد من الأنباء عن هذا الموضوع في نشراتنا المتتابعة، شكرًا لكم وإلى اللقاء.

تملَّكَت الشياطين الدهشة.

فها هي أدقُّ أسرار المنظمة تتحول إلى خبر معلوم في نشرة أخبار قناة تليفزيونية.

وها هي أكثر المعلومات سرية عن «البراق» تسرد في تقرير علمي يستمع إليه كلُّ الناس، وكان طبيعيًّا أن تُثار التساؤلات بين الشياطين، وأن تكثر علامات الاستفهام، وقد نظرَت «ريما» في حيرة لـ «أحمد» وهي تقول: أتصدق ما سمعت؟

أحمد: حتى الآن لا!

إلهام: لقد سمعناه كلنا يا «أحمد»!

أحمد: أعرفه ... ولكن في الأمر خدعة.

عثمان: قد يكون المقصود من الإعلان عن السيارة هو إحباط محاولة مصنع السيارات الألماني من تسويقها تجاريًّا.

قيس: كيف؟

أحمد: يقصد «عثمان» أن الإعلان عنها ... يدل على أن مصنعها قد قام بتسجيلها كاختراع وكتصميم، وبذلك لا يحق للآخرين الإعلان عن أو تسويق نفس الموديل بنفس التصميم ... والإمكانيات، وإلا ...

زبيدة: وإلا ماذا؟

إلهام: وإلا تعرض للمساءلة القانونية، ودفع تعويضات وبالتالي تشويه سمعته دوليًّا!

ريما: ولكن ذلك إفشاء لأسرار المنظمة!

زبيدة: نعم، فنحن لم نَعُد بذلك منظمة أمنية!

أحمد: وهل تصدقون أن قيادة المنظمة بهذه السذاجة ... يا قوم ألم يلاحظ أحدكم أن المذيعة التي كانت تقرأ التقرير العلمي، لم تكن معروفة لنا!

ريما: قد تكون مذيعة جديدة؟

إلهام: ولكنها فكرة تستحق الاهتمام.

أحمد: إنها الحقيقة ... لأنها تتفق مع المنطق.

قيس: نعم ... أنا أتفق مع «أحمد» فيما يقول ... وما رأيناه هو نشرة أخبار المنظمة.

عثمان: ولكن المقر ليس به إلا رجال الأمن!

قيس: إنها تبث من «القاهرة»!

أحمد: إذن سأتصل بالمقر لأتأكد.

وعندما كان «أحمد» يتصل بالمقر، قامت مجموعة من الشياطين بإعداد العشاء والشاي الساخن.

في الوقت الذي كانت فيه مجموعة أخرى تُعدُّ قائمة الكمبيوتر الملحقة بمركز المعلومات للعمل.

وفي وقت واحد تقريبًا أتم الجميع أعمالهم ... وعادوا للجلوس أمام شاشة التليفزيون ليتناولوا الشاي الساخن مع الكثير من السندويتشات التي تحوي ألذَّ ما في ثلاجة المقر.

وقد كان ما أخبرهم به «أحمد» ألذ وألذ.

فقد أكَّد لهم أن ما رأوه على شاشة التليفزيون كان نشرة أخبار المنظمة، والتي تبثُّ إرسالها من محافظة القاهرة بمنطقة نادي الرماية.

وعندما فرغ الجميع من العشاء، شعروا بالنوم يداعب جفونهم ... فانتفضوا يقفون لينفضوا عنهم الكسل ... إلا أن ما قاموا به خلال اليوم جعلهم يتخذون قرارًا جماعيًّا بالاتجاه إلى غُرَف النوم.

وفي غرفة نوم «أحمد» كان الهواء يرتع بحريَّة، فيرفع الستائر ويخفضها ... فقد كان زجاج النافذة مفتوحًا؛ ولأن الليلة كانت من ليالي شهر ديسمبر.

فقد شعر بالبرد يتسلَّل إلى عظامه ...

فأغلق زجاج النافذة، وساد الغرفةَ هدوءٌ شديد أثار انتباهَه إلى تأثيرها.

فقام لفتحه مرة أخرى، فسمع صوت هدير أمواج البحر يُشعره وكأنه يقف في قمرة لسفينة مسافرة.

ولولا خوفه من سطوة البرد، لنام تاركًا النافذة مفتوحة.

ولم يكن هذا فقط دافعه لغلقها، بل اتصال «إلهام» به، وطلبها ذلك منه أيضًا.

وخيَّم على المقر هدوءٌ شديد، أما خارج المقر ... فقد كانت الرياح تصفر ... وأمواج البحر الأبيض تهدر ... والسحب تملأ سماء المنطقة ... وتُنذر بليلة ممطرة.

ولم يشعر أحدٌ من النائمين بخيوط الماء المتساقطة من السماء إلا عندما هزَّت جدران المقر زمجرة الرعد ... فجعلَتهم يتململون في رقادهم ... وعيونهم نصف مفتوحة ما بين النوم واليقظة.

إلا أن شعاع برق أضاء غُرَفَهم جميعًا، أيقظ حواسَّهم ... فاعتدلوا جالسين على الأسرَّة تحت الأغطية، يتابعون ومضات البرق المتلاحقة في سرعة وقوة ... وكأن سماء العريش تحتفل بوجودهم تحتها.

ومن بين قطرات الماء المتدحرجة على زجاج النوافذ، لمحوا في دهشة أجسامًا صغيرة وكبيرة تقفز في الهواء ... ثم تهوي وتختفي.

ولم تتمالك «ريما» نفسها مما رأته، فنفضَت عنها غطاءها وهرولَت تلصق جبهتها بزجاج النافذة رغم برودته لتشاهد هذا المهرجان الجميل عن قرب.

وعندما اتضحَت لها الرؤية، ندت عنها آهة دهشة ... فقد كانت تلك الأجسام الطائرة لأنواع شتى من الأسماك، وكأنما ضوء البرق قد أيقظها كما أيقظهم.

وفي غرفتها، لم تكن «إلهام» بعيدة عن النافذة، كانت أيضًا تُتابع عن قرب مهرجان الماء والأضواء والأسماك الطائرة، وتستمتع رغم برودة الجو ... ببرد الزجاج على جبهتها.

وكذلك كانت «هدى» و«زبيدة» وبقية الشياطين إلا واحدًا فقط هو «عثمان» الذي لم يرضَ بمجرد المشاهدة من خلف الزجاج ... بل آثر الاقتراب من الأحداث ... والتفاعل مع

صوت الرعد وضوء البرق وسيل المطر ... فارتقى السلالم إلى أعلى مبنى المقر غير عابئ بما قد يُصيبه من عواقب كل ذلك.

وتحت السماء رفع يدَيه لأعلى مناديًا المطر أن يهطل ويهطل ... ولا يتوقف، فهو يُشعره بالخير الذي يجري في نهر النيل رابطًا «السودان» بمصر.

وابتلَّ شعرُه وملابسُه وهو لا يشعر؛ فزمجرةُ الرعد تُحركه، تُحرك كل الطاقات الكامنة في أوصاله وخلاياه.

وكذلك ومضات البرق وتلك الأسماك التي تتقافز فوق سطح البحر فتبدو وكأنها تهطل من السماء.

ووسط ذلك كلِّه رأى جسمًا فضيًّا كبيرًا يخترق الضباب ... ويحلِّق بالقرب من الأرض مبتعدًا عن المكان ...

وحين أمعن النظر فيه صاح بأعلى صوته: «البراق» ... إنه البراق. البراق سُرق!

انقطاع التيار!

قطع «عثمان» سلالم المقر حتى بوابة المصعد في لحظات ... وفي انتظار المصعد وقف يتصل بـ «أحمد» ويحكي له ما رآه.

وعندما وصل المصعد وفتح بابه، كان يقف بجوار «عثمان» كلٌّ من فهد و«قيس» ... وقبل أن ينغلق الباب كان «أحمد» قد لحق بهم.

وتحرَّك بهم المصعد وهم بين مستفسر وغير مصدق.

وعندما وصل المصعد إلى جراج المقر وانفتح بابه غارقًا في الظلام ... ولم يكن لدى أحد منهم كشافٌ يدويٌّ يستعين به على التحرك بين السيارات، ولم يعبأ «عثمان» بذلك، بل تحسَّس طريقَه حتى اصطدم بإحدى سياراتهم، ففتح بابها ... وبمجرد أن دخلها أضاء كشافاتِها الأمامية، فتحرَّك على هدى نورها مَن كان معه من الشياطين، ففتح لهم أبوابها.

وما إن قال له «أحمد» انطلق، حتى ضغط على بدال السرعة ... فتحرَّكت ببطء حتى عبرَت بوابة الجراج ... ومنها إلى الممر الموصل إلى البوابة الرئيسية للمقر، وقبل أن يبلغوها كانت قد انفتحت، فدخل شلالٌ من الماء غمر الممر والحديقة المحيطة به.

ولم يعبأ «عثمان» بل قفز بالسيارة فوق الرصيف المقابل له، ليسير في الاتجاه الذي انطلقَت فيه البراق ... وكالبراق انطلق، والماء يتطاير حوله فيغمر الزجاج الأمامي والجانبي والخلفي للسيارة.

وتحرَّكت المساحات تنظف الزجاج، غير أن هطول الأمطار صعَّب من مهمتها ومهمة «عثمان» الذي كان يتمنى لو أنها تملك إمكانيات «البراق».

وطال بهم المسير حتى خرجوا من طريق الكورنيش، والقلق مستبد بهم ... فالبراق لم تظهر بعد، وإن لم يعثروا عليها خلال ساعات فلن يجدوها ثانية.

ولم يتمالك «أحمد» أعصابه ... وجلس متململًا، وعلى وجهه بدَت علامات الضيق الشديد، فاندفع «قيس» يسأله قائلًا: ألم تكن موجودة في الجراج؟

أحمد: لم نلاحظها يا «قيس»!

قيس: ولكننا لم نبحث جيدًا ... والجراج كان مظلمًا!

عثمان: لقد أمعنتُ أنا النظر بدقة في الجراج ... عندما أضاءت نور السيارة التي نركبها.

فهد: وإن كانت موجودة ... فكيف لم نلاحظها ... وهي أكثر السيارات الواقفة في الجراج تميزًا!

كانت الأمطار قد أحالَت الطريق إلى مستنقع موحل ... مما يدل على أنها قد سبقَتها عاصفةٌ ترابية ... وأصبح السير فيها دربًا من دروب المستحيل.

وعلى مضض طلب «أحمد» من «عثمان» العودة بهم إلى المقر.

وفي الطريق قام بالاتصال بـ «إلهام» وطلب منها النزول إلى الجراج، وإلقاء نظرة ثانية على السيارات الموجودة فيه.

وسأله «قيس» عما يقصده بذلك ... فأجابه بأنه يشك في شيء ما ...

فقال له «فهد»: وأنا أيضًا أشك في شيء ما.

عثمان: إنكم تتساءلون عن سبب إظلام الجراج، رغم أن المصعد كان يعمل «مركز لك» البوابات الإلكترونية ... أليس كذلك؟

أحمد: نعم؛ فكل ذلك يدل على أن التيار لم ينقطع.

قيس: قد يكون العطب في نظام الإنارة فقط.

أحمد: هذا جائز ... ولكن يبقى مكان للشك حتى نتأكد، إلا أني سأجيب على اتصال «إلهام» أولًا.

ومضَت لحظاتٌ ثقيلة على الجميع ... وهم في انتظار نتيجة المكالمة.

وما إن فرغ منها حتى التفتَ إليهم قائلًا: المصعد لا يعمل.

تداخلَت أصوات الشياطين، وهم يتدافعون لطرح وجهة نظرهم فيما يحدث إلا أن «أحمد» أشار لهم يطلب منهم الهدوء، ثم قال لهم: أعرف أنكم تأكدتم الآن من أنها عملية مدبرة.

قيس: أنا لا أرى ذلك ... بل أرى أنه يُبدِّد شكوكَنا.

فهد: طبعًا ... فتعطُّل المصعد يدل على انقطاع التيار عنه هو الآخر.

قيس: وذلك يعني أن هناك عطلًا كهربيًّا أصاب أولًا إضاءة الجراج.

عثمان: وثانيًا المصعد.

فهد: وكل ذلك حدث أثناء سقوط الأمطار، أي أن هناك سببًا منطقيًّا له.

أحمد: هذا لا يُبدِّد شكوكنا في أنها عملية مدبرة.

فهد: وما دليلك على ذلك؟

أحمد: حدْسي.

وعن بُعد ورغم الضباب الكثيف ... ظهرَت أضواءٌ ضعيفة لأعمدة إنارة متداخلة تدل على أنهم قد اقتربوا من شبكة الطرق المتداخلة.

وما إن بلغوها حتى انحرفوا يسارًا في اتجاه شارع النبي «إلياس»، وقبل أن يبلغوا شاطئ البحر، انحرفَت السيارة بهم يمينًا ... لتسير في محاذاة الشاطئ في اتجاه المقر، وكالحلم لمحوا جميعًا السيارة البراق تمرق أمامهم، وتختفي فجأة.

وكالطلقة الطائشة ... انطلقَت «اللاندروفر» في أثرها، صوت زمجرة فراملها يعلو على صوت الفرامل مرات ومرات ... و«عثمان» غير عابئ بكل ذلك، وكذلك كلُّ مَن معه.

ووسط ذلك كلِّه علا صفيرُ رصاصة أعقبها صوتُ انفجار أسفل السيارة ... مالَت بعده عن يسارها ثم انحرفَت في منحنًى ضيقٍ واندفعَت فوق الرمال ليغوص نصفُها في الماء ... و«عثمان» لا يستطيع السيطرة عليها ... فطلب منه «أحمد» أن يبادلَه مكانه ... إلا أنه رفض، وانشغل في التعامل مع أجهزة السيارة من ناحية ومن الأخرى كان يُخرج رأسه من نافذتها، ليُتابعَ حركة العجلات الخلفية التي كانت تدور في سرعة شديدة، فتنزلق على الرمال اللزجة، ولا تغادر مكانها.

فغادرها «أحمد» سائرًا بصعوبة فوق وسط لا تثبت عليه قدم ... وكان يخلص قدمه من بؤرة غاصَت فيها لتغوص مرة ثانية في بؤرة أخرى.

ولم يبلغ الطريق الأسفلتي إلا بعد معاناة رهيبة، فعبره إلى حديقة إحدى الفلل ثم تسلَّق شجرة على الرصيف المجاور لها ... وقام بقطع بعض الأفرع المتدلية منها ... وقام بقذفها بكلِّ قوته ... لتسقط تحت عجلات «اللاندروفر»، وقد أوقف «عثمان» موتورها منتظرًا الأمر منه.

وبعد أن رأى «أحمد» أن ما وضعه تحت عجلات السيارة، يكفي لحملها على الرمال صاح طالبًا من «عثمان» أن يحاول التحرك.

وقد نجحَت المحاولة من أول مرة، وبعد أن عاد إلى الطريق، نزل باقي الزملاء ليعاونوه في تغيير العجلة وتركيب الاحتياطي ... وبقيَ بها «عثمان» غير قادر على الحركة؛ فقد ناله

الإعياء من جراء ابتلال ملابسه ... والتي نزل بها من فوق سطح المقر كما هي، وترك «أحمد» لزملائه تغيير العجلة ... ليقوم بفحص «عثمان» ورعايته؛ فقد قاربت حرارتُه الأربعين وتصبَّب جبينُه عرقًا ... وارتجف جسدُه وكأنه مصاب بالحمى.

فقام بنقله إلى الكنبة الخلفية بمساعدة «فهد» و«قيس» بعد أن انتهيَا من تغيير العجلة وطلب منهما أن يقوم أحدهما بالقيادة حتى المقر.

اللعبة الغامضة!

رغم الأمطار الشديدة، إلا أن الشياطين لاحظوا أن حديقة المقر، والممر الذي يقطعه لم يتأثرا بها، وعلى غير ما توقعوا ... وجدوا الأبواب الإلكترونية تعمل.

وعندما وصلوا إلى جراج المقر وجدوه مضاء.

وكم كانت دهشتهم وحيرتهم في ذروتها، حين رأوا البراق تتصدره.

ولم يتمالك «أحمد» نفسَه من الفرحة، فجرى عليها يتمسَّح في جسمها وأبوابها ... ويمرُّ بيدَيه على زجاجها ثم يقبِّله ... وزملاؤه حوله متأثرون غاية التأثر لهذا المشهد الدرامي.

ومن أقصى الجراج انفتح باب المصعد، والتفتوا جميعًا ليجدوا «إلهام» تخرج منه وهي تقول: ماذا حدث؟

عثمان: لا شيء ... لقد شعر «أحمد» فجأة أنه واقعٌ في حب البراق.

إلهام: لقد ظللتُ أتردد على المصعد حتى عاد للعمل ... وعندما نزلت إلى الجراج وجدت البراق موجودة.

قيس: متى؟

إلهام: منذ نصف ساعة.

عثمان: هل تعرف أنها موجودة، وهل أخبرك أحد بغير ذلك؟

نظرَت إليه «إلهام» في نفاذ صبر وهي تقول: فما معنى مكالمتكم إذن؟

أحمد: أنا الذي اتصلت بك يا «إلهام»!

إلهام: أعرف ... أعرف يا «أحمد»، ولكنك طلبت مني أن أتأكد إن كانت البراق موجودة أم لا.

أحمد: نعم هذا حدث!

إلهام: إذن كيف تقولون لي إنه لم يحدث شيء! وفيما خروجكم سويًّا ليلًا، وفي هذا الجو البارد المطر؟

أحمد: ومَن قال لك ذلك؟

إلهام: «عثمان» ... ألم تسمعه؟

عثمان: رفقًا بنا يا «إلهام» أرجوك.

إلهام: وهل رفقتم أنتم بنا؟

نعرف أنكم بالخارج ولا نعرف لماذا، ويطلب مني «أحمد» الاطمئنان على وجود البراق ... ولدينا فكرة أنها معرَّضة للسرقة!

ولم يكن «أحمد» منتبهًا لكلام «إلهام» بقدر ما كان مشغولًا بفحص البراق فحصًا دقيقًا ... وقد لاحظ أنها غسلَت حديثًا بالماء ... فقطع على «إلهام» توبيخها لهم، قائلًا: ألَا تلاحظون أن السيارة قد تم تنظيفها منذ دقائق!

عثمان: وكيف عرفت ذلك؟

أحمد: إن جسمها بارد!

إلهام: من الجو!

أحمد: ولماذا أنت غاضبة هكذا؟

عثمان: من الجو!

ولم تتمالك «إلهام» نفسها من الضحك؛ فقد شعرت أنها انفعلَت أكثر من اللازم معهم ... وكان عليها أن تطمئن عليهم أولًا.

وشعر «أحمد» أن الوقت أصبح مناسبًا لسؤالها ... فقال لها: ألم تسمعي صوتًا لموتور البراق ... أو لحركة في الجراج منذ نصف ساعة تقريبًا؟

إلهام: وهل لموتور البراق صوتٌ؟

أحمد: نعم ... له هديرٌ مميز نعرفه جميعًا.

إلهام: لا يمكن بالطبع وسط هذه الجلبة التي تُحدثها أمواج البحر ... وصوت سقوط الأمطار أن أسمع صوتَ موتور سيارة!

ثم عادَت لتسألَه قائلة: ما الأمر يا «أحمد»؟

قيس: لقد رأى «عثمان» أثناء وقوفه بسطح المقر ... السيارة البراق تسير وسط الأمطار.

إلهام: لقد كان الظلام مطبقًا!

عثمان: لقد رأيتها على ضوء البراق.

كان الإعياء قد تملَّك من «عثمان»، فاستند على حائط الجراج ... ولاحظ زملاؤه أنه سيسقط مغشيًّا عليه ... فحملوه سويًّا إلى المصعد ... ومن المصعد إلى غرفته ... فوضعوه على سريره في الوقت الذي كانت تجلس فيه «إلهام» أمام جهاز الكمبيوتر تشرح حالتَه، وتنتظر منه التعليمات.

وبعد قليل من الأدوية، مع كثير من عصير البرتقال ... تركوه نائمًا ... وانصرفوا إلى غرفة المعيشة، ليلتقوا وباقي الزملاء ... الذين أيقظهم ما حدث.

فجلسوا ينتظرون تفسيرًا ...

غير أن «أحمد» عرض عليهم أن يُعدَّ لهم تقريرًا سريعًا على أن يؤجلوا المناقشة لصباح الغد.

فوافقوا جميعًا، ليس على تأجيل المناقشة فقط ... بل والتقرير أيضًا ... فرتابةُ صوتِ سقوط المطر، جعلَتهم يعانون لكي يفتحوا عيونهم.

فهرولوا جميعًا إلى غُرَفِ نومهم ودفءِ أسرَّتِهم، وبرنامج أحلامهم اليومي ... عدا «أحمد» الذي شعر أنه بحاجة إلى حمَّام دافئ قبل النوم ... وكذلك «قيس» و«فهد».

وفي صباح اليوم التالي شعر «عثمان» أنه أحسنُ حالًا ... وأنه في حاجة لأن يغادر فراشه.

ولو رأَته «إلهام» لمنعَته ... إلا أنها لم ترَه إلا وهو في غرفة المعيشة ... بعد أن أخذ حمَّامًا باردًا، وتعطر وارتدى أحلى ما عنده.

وسُرَّ «أحمد» جدًّا، وكذلك بقية الشياطين عندما رأوه بينهم ... وعلَّقت «ريما» على ذلك قائلة: طبعًا أنت مندهش أن هناك مَن تسرُّه رؤيتك؟

عثمان: نعم، وأنت بالطبع سعيدة لأنك وجدتي مَن يسمعك.

ضحك الشياطين لهذه القفشة الظريفة ... والتقط «مصباح» طرفَ الخيط وقال: نحن نريد أن نسمعك أنت لنعرف ما حدث.

عثمان: كنت أحتفل بالأمطار فوق سطح المقر، عندما رأيت البراق تسير في الشارع الخلفي.

ريما: ألم يكن العياء قد أصابك بعد؟

عثمان: لا لم يحدث.

أحمد: لقد رأينا البراق مرة ثانية أثناء عودتنا.

إلهام: وسط الضباب والبرق والمطر؟!

أحمد: نعم، أنا واثق من ذلك.
إلهام: وعدتم لتجدوا أنها نظيفة وكأنها لم تمسَّ؟!
أحمد: ألَا تصدقين؟
ريما: وأنت يا «قيس»، ألم تكن معهم؟
قيس: نعم.
ريما: هل رأيتها؟
قيس: لا!

مهمة استطلاعية!

هل حقًّا خرجَت البراق من المقر؟

وهل هي حقًّا الجسم الفضي الذي رآه «عثمان» يطير وسط الضباب؟

وإذا كانت هذه محاولة لسرقتها فما الذي أعادها إلى المقر مرة أخرى؟

وهل ستكون آخر محاولة، أم أنها كانت مجردَ تجربة؟

ومَن الذي سرقها ... وأين كان رجال أمن المقر وقتَ خروجها ووقت عودتها ... كانت هذه بعض الأسئلة التي فرضَت نفسها على الشياطين، أثناء اجتماعهم الطارئ مساء ذلك اليوم والذي احتدمَت فيه المناقشة حول مدى أمانة رجال أمن المقر.

ورأى «عثمان» أن يطلبوا من قيادة المنظمة تغييرهم إلا أن هذا الرأي لم يُعجب «قيس» الذي رأى أن يقوم بفحص عدادات السرعة والمسافة والوقود للبراق أولًا للتأكد من مغادرتها للمقر، ولمعرفة المسافة التي قطعَتها في هذه الأثناء.

وأثناء انتظارهم لتقرير «قيس» سألتهم «ريما» سؤالًا، أجاب على كثير مما كان يدور في رءوسهم؛ فقد قالت لهم: هل إذا تعرَّضَت البراق لأي نوع من الأشعة أو الضوء بغرض التصوير يظهر ذلك على أجهزتها؟

أحمد: تقصدين أن سرقتها كانت لغرض تصويرها فقط؟

إلهام: تصويرها إشعاعيًّا، يعني كشفَ كلِّ جزء فيها!

عثمان: وبهذا تكتمل النسخة الموجودة في «شتوتجارت».

أحمد: نعم ... التصميم الخارجي والداخلي.

مصباح: الموضوع خطير.

إلهام: والدقائق تمرُّ ... تعني موتَ البراق بالنسبة لنا.

أحمد: طبعًا ... فمجرد تقليدها سيُفقدها قيمتها ... وستظهر سيارات أكثر تقدُّمًا منها.

وانقطع الحديث بينهم فجأة، عندما رأوا «قيس» قد عاد متجهمًا.

ولفَّتهم لحظاتُ صمت ثقيلة ... قطعها «أحمد» بقوله: البراق خرجَت من المقر، أليس كذلك؟

قيس: نعم.

أحمد: وكم قطعت؟

قيس: مائتان وخمسون كيلومترًا!

عثمان: بالطبع ذهاب وعودة.

إلهام: أي بعدَت عن هنا أكثر من مائة كيلومتر.

أحمد: إنها المسافة التي قطعناها من المكان الذي كنَّا نعسكر فيه إلى هنا!

ريما: ما المانع في أن نقوم بمهمة استطلاعية؟

أحمد: لاستطلاع ماذا؟

ريما: نحوم حول معسكرنا القديم بجوار جزيرة الموت.

قيس: إنها مكان استراتيجي.

فهد: جزيرة الموت؟

قيس: نعم.

كان «أحمد» سابحًا في أفكاره ... يحاول أن يضع ما يقولونه في إطار مهمة يقوم بها بعضٌ منهم.

وقد وقع اختيارُه على «قيس» مكتشفِ جزيرة «اللحد» ومعه «ريما» وثالثهم «فهد» ليقوموا بهذه المهمة.

أما «عثمان» و«إلهام» فقد كان في حاجة لهما، لمشاركته في مهمة أخرى.

وقد كانت الوقت مبكرًا ... مما يسمح بتنفيذ مهامهم جميعًا ... فطلب من «قيس» سرعةَ التحرك.

ومن باب حديقة المقر ... خرجَت إحدى سيارات سرب «اللاندروفر» تضمُّ كلًّا من «ريما» و«فهد» و«قيس» ليقوموا بمهمة عاجلة، على أن يعودوا قبل مغيب الشمس.

ومن فوق سطح مبنى المقر، وقف «أحمد» ممسكًا بمنظار يتابع خروجها من طريق الكورنيش وفي رأسه تدور ألفُ فكرة ... وفي قلبه أمنية واحدة ... جعلَته ينبض بشدة في ترقُّب لأن تتحقق.

ومن إحدى تقاطعات شبكة الطرق التي تؤدي إلى الميدان الرئيسي، خرجَت «اللاندروفر» في طريقها إلى خارج المدينة.

ومن تقاطع آخر، لاحظ «أحمد» سيارة جيب حديثة، سوداء اللون تجري في أثرها.

ولاحظ «قيس» في تابلوه السيارة ضوءًا أحمر يضيء ويختفي، فعرف أنه اتصال من المقر، فضغط الزرَّ المضيء فتردَّد في السيارة صوتُ «أحمد» يقول: آلو ... «قيس».

قيس: معك يا «أحمد»!

أحمد: أين أنت الآن؟

قيس: في الكيلو عشرين طريق القنطرة.

أحمد: لقد رأيت سيارة جيب «ديسكفري» تسير في أثرك!

قيس: لم تظهر لنا بعد.

ريما: هل تتبعنا دون أن ترانا؟

فهد: وماذا يعني هذا؟

أحمد: هذا يعني أن هناك مَن يراقبكم من مكان مرتفع جدًّا ... ويوجِّههم عبر التليفون أو اللاسلكي!

قيس: إذن ... فقد كانوا خلفنا من البداية!

أحمد: أعتقد ذلك، وعلى فكرة أنا لم أَعُد أراهم، وسأحاول الاستعانة بالقمر الصناعي الخاص بالمنظمة.

قيس: لا تشغل نفسك بهم.

ريما: نعم واتركهم لنا.

أحمد: لا، فهناك الكثير مما سيكشفه لنا المقر ... لن تستطيعوا معرفته بالمواجهة المباشرة، وكانت هذه آخر جملة يقولها لهم، وقبل أن يُنهيَ اتصاله بهم ويتصل بـ «عثمان»، ويطلب منه أن يلحق به على سطح المقر ... وترك له المنظارَ قائمًا على حامل ذي ثلاث أرجل.

ونزل السلَّمَ سريعًا إلى غرفة الكمبيوتر؛ حيث أوصله بتليفونه المحمول، والذي له اتصالٌ مباشرٌ بالقمر الصناعي، ثم اتصل بدائرة الاستشعار في القمر، فظهرَت له على شاشة الكمبيوتر خريطةُ القارة الأفريقية وجزء من قارة آسيا، فقام بتوجيه الدليل حتى ظهرَت له خريطة «سيناء»، ثم طلب التركيز على هذه المنطقة، وتكبير الطرق الخاصة بشمال «سيناء» إلى أن وصل إلى طريق العريش القنطرة.

فطلب من الكمبيوتر رصْدَ كلِّ ما يسير على الطريق مزدحمًا بسيارات نقل الخضراوات حتى الكيلو خمسين، وبعد ذلك لم تظهر إلا سيارتان بينهما ألف متر وعشرة، حسبما قال الكمبيوتر ... تسيران بسرعة تتأرجح ما بين تسعين كيلومترًا أو أكثر بقليل ... ولا تقترب من بعضها، بمعنى أن المسافة بينهما ثابتة، فقال لـ «إلهام» وقد كانت تجلس قريبًا منه: كيف تستطيع سيارة على بعد كيلو من الأخرى أن تحافظ على المسافة بينهما ثابتة على طول الطريق؟

إلهام: هذا لا يحدث إلا بالتوجيه عن بُعد.

أحمد: للسيارة!

إلهام: أو لقائدها!

التوجيه عن بعد!

أحمد: إذن فقد دخلنا في مواجهة مبكرة مع مختطفي البراق!

إلهام: حتى الآن، لا نعرف إن كانوا قد قاموا باختطافها، أم ما لديهم تقليد لهيكلها فقط.

أحمد: هذا يعني أنهم إن لم يكونوا قد سرقوها، فهم في طريقهم لسرقتها.

إلهام: بالطبع.

أحمد: سأُخبر «قيس» بالمسافة بينه وبين «الديسكفري».

ثم قام بالاتصال به وقال له: آلو ... «قيس»!

قيس: أسمعك جيدًا يا «أحمد»!

أحمد: أنت في منتصف الكيلو سبعين الآن.

قيس: هل اتصلت بالمقر؟

أحمد: نعم ... كل شيء واضح أمامي.

قيس: والسيارة التي تتبعنا؟

أحمد: تحافظ على مسافة ثابتة بينها وبينك!

فهد: نحن لا نراها!

أحمد: نعم فبينك وبينها كيلومتر.

ريما: هل ندخل مواجهة معهم؟

أحمد: لا ... تجنَّبوا الدخول معهم في مواجهةٍ قدر الإمكان.

قيس: لماذا؟

أحمد: نريد الوصول لَمن يوجهونهم.

قال ذلك ثم التفت إلى «إلهام»، قائلًا: أعتقد أن المقر سيتعرض للهجوم اليوم أو غدًا!

إلهام: لماذا؟

أحمد: لأنهم يظنون أنهم أبعدونا بذلك عنه.

إلهام: وأنا أظن أنهم يعرفون قوتنا الحقيقية ويعرفون عدد الموجودين هنا.

نظر لها «أحمد» مليًّا، ثم قال لها: أوافقك في هذا!

ثم قام بالاتصال بـ «عثمان»، وسأله قائلًا: هل هناك من جديد؟

عثمان: نعم، لم أَعُد أرى شيئًا!

ابتسم «أحمد»، وقال له: أي شيء؟

عثمان: لا ... بل أقصد سيارتنا «اللاندروفر».

أحمد: أنا أراها على الكمبيوتر.

عثمان: ولكني أرى شيئًا آخر.

أحمد: ما هو؟

عثمان: هناك مَن يراقبنا!

تسمَّرَت عينَا «أحمد» في عينَي «إلهام» ... فقد فاجأه الخبر ... ثم انتبه إلى صوت «عثمان» يقول له: «أحمد» ... ماذا حدث؟

أحمد: لا شيء، ولكني لم أتوقَّع أن يكونوا قريبين منَّا لهذه الدرجة.

عثمان: هل ندخل معهم في مواجهة؟

أحمد: لا مواجهات الآن، لا مواجهات الآن.

عثمان: ماذا جرى لك؟

أحمد: لقد كان «قيس» يريد الدخول في مواجهة مع مَن يطاردونه.

عثمان: لا مواجهات الآن ... لا مواجهات الآن.

قطع «أحمد» الاتصال مع «عثمان» حتى لا ينطلق في الضحك ... وعاد لمراقبة الطريق، فوجد «قيس» قد اقترب جدًّا من موقع معسكرهم الأخير ... فسأله قائلًا: ماذا ستفعل بعد ذلك يا «قيس»؟

قيس: سأذرع الطريق جيئةً وذهابًا ... وأطوف حول المكان باحثًا عن آثار تؤدي لمرسى سفينة أو مبنى تحت الأرض ... أو غير ذلك.

أحمد: ذلك سيؤدي إلى مواجهة مبكرة معهم، وأنا لا أريد ذلك.

قيس: سأُحدث جلبة بالفرامل وبآلة التنبيه.

أحمد: لا تَقُم بذلك إلا في الوقت المناسب.

قيس: سيحدث.

فوجَّه «أحمد» حديثه لـ «إلهام» قائلًا: نريد نسخة أخرى من البراق.

إلهام: ماذا ... نسخة أخرى؟

أحمد: نعم ... وبسرعة.

إلهام: ولكن كيف؟

أحمد: سنرى.

وفي اتصال عاجل بالمقر الرئيسي بالصحراء الغربية، طلب «أحمد» من مركز أبحاث المقر، أن يُرسلوا له النسخة الهيكلية للبراق ... وسيلة لا يلاحظها أحد.

وتعجبَت «إلهام» لما سيفعله «أحمد» بالنسخة الهيكلية، فهي جسم فقط دون محرك.

أحمد: ولكنها تتحرك!

إلهام: وهل تقوم بدفعها كعربة اليد؟

نظر إليها مبتسمًا دون أن يُجيب، ثم غادر القاعة ... ولحسنِ حظِّه وجد المصعد موجودًا فاستقلَّه إلى الجراج.

وعندما انفتح بابه، سَمِع صوتَ أقدامهم تُهرول خارجه ... فأطلق لساقَيه العنان خلفهم.

فزادَت الأقدام من سرعتها، وهو من خلفهم حتى اختفى الصوت فجأة ...

ثم سمع صوتَ فرقعة لبعض أفرع الأشجار تنكسر، ثم صوت ارتطام أقدام ثقيلة بأرض الشارع بجوار السور.

فقام بالاتصال بـ «عثمان»، وطلب منه أن يمسح المنطقة حول المقر بالمنظار وأن يرصد أيَّ غريب يراه ... ويُخبره عن موقعه.

وفي هذه اللحظة سمع صوتَ تفريغ هواء ... فعرف أنهم ضفادع بشرية وقد غاصوا تحت الماء وبالطبع لم يتمكن «عثمان» من رصدهم ... فطلب منه اليقظة ... وعاد هو إلى الجراج حيث وجد «البراق» تقبع في آخره وتحيطها سيارات «اللاندروفر» وقد كان هذا طلبه، حتى لا يمكن إخراجها من الجراج بسهولة.

فقام بفتح بابها، ثم أدار جهاز الأمان الإلكتروني حتى لا يتمكن أحد غيره من إدارتها ... وإلا احتاج لقطع إصبعه ووضعه على الباب إلا أن هذا الجهاز يقرأ بصمة الإصبع.

وفي هذه اللحظة، سَمِع صوتًا يخرج من جيبه ... فعرف أنه من تليفونه المحمول ... وقد كانت محادِثتُه هي «إلهام» التي طلبَت منه سرعة العودة؛ لأنها لا ترى شيئًا على شاشة الكمبيوتر.

وفي توتُّر شديد، وقف ينتظر المصعد، وقد شعر باللحظات، وكأنها دهر، ومن الجراج إلى المصعد إلى قاعة الكمبيوتر، انطلق «أحمد» كالقذيفة.

وأمام شاشته جلس ينظر في دهشة لما يرى؛ فقد كانت سحابة كبيرة تملأ الشاشة، وكأن مرصد القمر الصناعي قد تم توجيهه إلى السماء.

وعن طريق بعض الأزرار بلوحة التحكم ... استطاع العودة إلى الموقع الموجود به «قيس»، غير أنه لم يجده ... ولم يجد مطارديه.

وعبثًا قام بمسح المنطقةِ كلِّها حول المكان الذي تركه فيه قبل أن يغادر القاعة فلم يجده.

الضابط المتمرد!

ازداد توتُّر «أحمد» وهو يدور بمرصد القمر الصناعي باحثًا عن «اللاندروفر» أو أية آثار لها ... ولم يلتفت للضوء الأحمر الذي يُنبهه لوجود اتصال.

ثم علَا صوتُ الموسيقى من تليفونه المحمول وأيضًا لم يُجبه ... إلى أن شعر بوخز في رسغه من ساعة يده ... فالتفت إليها ... فعرَف أن له رسالة وعليه تلقِّيها.

وعقب الرسالة طلب رجال أمن المقر ... وأخبرهم أن القيادة في «مصر» تطلبهم جميعًا وعليهم أن يرحلوا ... ويتركوا المقر في حمايتهم.

غير أن كبيرهم رفض الانصياع لأمره ... وأعلن على الجميع أنه لن يغادر المقر إلا بأوامر مباشرة.

فاتصل «أحمد» بقيادة المنظمة وأخبرهم بما حدث ... فطلبوا منهم إبداء المرونة معه على أن يتخذ حذره منه هو وزملاؤه.

فأبدى له «أحمد» سعادته بموقفه وترحيبه به في المقر ... وطلب منه بعض الأدوات من مركز الصيانة الخاص بالمكان.

وعقب اتصال سريع، توجَّه إلى الجراج، فوجد «مصباح» و«بو عمير» و«رشيد» قد سبقوه إلى هناك.

فطلب منهم أن يقوم «رشيد» بالصعود إلى سطح المقر واتخاذ مكان «عثمان» على أن ينزل «عثمان» إلى الجراج لأنه يريده.

أما «مصباح» و«بو عمير» فطلب منهما أن يقومَا برشِّ البراق باللون الأسود باستخدام الرشاش «الدكو» على ألَّا يسمحَا لأحد بدخول الجراج أثناء ذلك.

غير أن كبيرَ الحراس ويُدعَى «مرشد» رفض ألَّا يسمح له بدخول الجراج وثارَت بينه وبين «أحمد» مشادةٌ، ورأى «عثمان» أنها لا بد وأن تنتهيَ بعودة هذا الرجل إلى مقر «القاهرة».

فقام بالاتصال بإدارة طوارئ المنظمة، وعرض عليهم الأمر ... فطلبوا منه سرعةَ التصرف بما يرونه هم، فمن الواضح أن هذا الرجل أصبح خطيرًا عليهم، ولمَعَت عينَا «عثمان» فجأة؛ فقد شعر أنها بداية المواجهة.

وتوجَّه إلى الجراج؛ حيث كان النقاش لا يزال محتدمًا بين «مرشد» و«أحمد» ومَن معه ... فقال لهم موجِّهًا كلامه إلى «أحمد» لقد اتصلت بالمقر، وقد قالوا إن ما يراه الضابط «مرشد» أمرٌ واجب التنفيذ.

مصباح: وماذا يعني ذلك؟

عثمان: يعني أن تتركوا الجراج مفتوحًا!

أحمد: وما الحكمة في ذلك؟

مرشد: إنها دواعٍ أمنية ... والمفروض ألَّا أُمنعَ من دخولِ أيِّ موقع في المقر.

بو عمير: لديك كل الحق فيما تقول ...

فنظر إليه «أحمد» مندهشًا، ثم نقل بصره إلى «عثمان» وهو غير مصدق؛ فقد اتفق الاثنان على عصيان أمره والامتثال لأوامر الضابط «مرشد».

ونظر إليه «مرشد» نظرةَ استعلاء، ثم غادر المكان والزهو يملؤه ... و«أحمد» يُبدي له الغيظ وعدم الارتياح.

وقد صدق الضابط الخائن التمثيلية التي قام بها الشياطين أمامه ببراعة ... وقد كان ذلك مهمًّا ... حتى لا يأخذَ حذره منهم ... إلى أن يتمكنوا من القبض عليه هو وأعوانه.

وبمجرد أن فرغ الجراج إلا منهم، قام الشياطين بحصر أعداد رجال الأمن في المقر ... ثم قضَوا فترة ما بعد الظهر في إعداد المكان إعدادًا جيدًا، لمعركةٍ ليست متكافئة بالنسبة لرجال الأمن.

فعددُ الشياطين أكثر، وتمركزهم داخل مبنى المقر يعتبر بالنسبة لهم ميزة.

غير أن رجال الأمن يمتلكون من الأسلحة ما لا يملكه الشياطين.

كذلك يعرفون أسرار المكان، وتحت أيديهم مفاتيح إدارة كلِّ أجهزة المراقبة.

لذلك كان عليهم نقل بعض هذه الميزات إلى أيديهم ... وأهمُّها مفاتيح التحكم في أجهزة المراقبة وإدارة مولدات الكهرباء الاحتياطية، حتى لا يقوموا بقطع التيار الكهربائي عنهم ... وبذلك تتعطل كلُّ أجهزة المراقبة والاتصال.

وقد كان ذلك يتطلَّب منهم جهدًا فوق العادة، تعاون فيه معظمُ أفراد الجماعة بما لديهم من خبرات في التعامل مع هذه الأجهزة.

وفي منتصف النهار، كان «عثمان» يغادر المقر وحدَه في سيارته «اللاندروفر» وبعده بدقائق كانت «إلهام».

ومرَّت عشر دقائق أخرى ثم خرجَت «زبيدة» ومعها «هدى» تختفي في دواسة السيارة.

ومن فوق سطح البناية ... لاحظ «رشيد» أن كلَّ سيارة للشياطين تخرج كانت تخرج خلفها سيارة لرجال أمن المقر.

وفي أثناء ذلك، كان «مصباح» و«بو عمير» يقومان بتغيير لون البراق ... دون أن ينتبهَ لهما أحدٌ من العاملين في المقر ... قد شغلَتهم كثرة خروج سيارات الشياطين.

وفي نفس الوقت، جلس «أحمد» أمام جهاز الكمبيوتر ... يبحث عن طريق القمر الصناعي ... الخاص بهم عن «قيس» فلم يجد في المنطقة أثر السيارة.

وعندما أعيَته الحِيَل، اقترب بمرصد القمر من الجزيرة «اللحد» عن طريق وحدة التحكم الأرضي.

وقام بتسليط جميع أنواع الأشعة عليها ... وجلس متوترًا في انتظار تحليل الصور الإشعاعية وظهور نتائجها.

وكم كانت دهشته عظيمة، حين عرف أن جزيرة «اللحد» ليست جزيرة مهجورة، بل بها بشرٌ ومعدات.

وعرف أخيرًا مكان «قيس» و«ريما» و«فهد».

ولكنه لم يعرف ما الذي يدور على سطح هذه الجزيرة، أو في باطنها.

وشعر أنه يخرج من لغز إلى لغز.

وعندما وخزَته الساعة مرة ثانية، تذكَّر المأمورية التي كان عليه القيام بها منذ الظهيرة.

فنزل إلى جراج المقر ... فرأى البراق وقد تغيَّرت معالمها.

فلونها تحوَّل إلى الأسود ... وأرقامها تغيَّرت وإطاراتها الخلفية أصبحَت مزدوجة، حتى لون الفرش تغيَّر.

فوضع إصبعه على مقبض الباب ... فانفتح ... وبمجرد أن جلس على عجلة القيادة أدار محرِّكَها ثم أغلق الباب.

وتحرَّك ببطء شديد حتى عبر ممر الحديقة ... وعند الباب اعترضه ضابط الأمن قائلًا: كيف دخلَت هذه السيارة إلى المقر؟

أحمد: دخلت كما دخلَت بقية السيارات.
مرشد: لم أرَها هنا من قبل!
أحمد: لم تكن أنت بالباب وقتَ دخولها.
مرشد: إذا غادروها لكي أفحص من الداخل.
أحمد: لن أغادرها.
وهنا أخرج «مرشد» مسدسه وشهرَه في وجه «أحمد».

تمرُّد وعصيان عام!

رأى «أحمد» أن يتخلص من ذلك الرجل؛ فهو يسبب له إزعاجًا شديدًا، ويقيِّد حركته.

غير أنه آثر ألَّا يُثيرَ بقيةَ العاملين في المقر، ولحظة المواجهة لم تَحِن بعد، فغادر السيارة وهو يهدده ويتوعده، و«مرشد» غيرُ مبال حتى بالرد عليه.

وقبل أن يدخل إلى السيارة ... أدخل فيها نصفَه العلوي ليتفحصها ... ولم يتمالك «أحمد» نفسه وأغلق عليه الباب، وسَمِع وقتَها صوتَ فرقعة عظامه تختلط بأصوات صراخه.

ووجد «أحمد» أنها فرصة لاستجوابه، فسأله قائلًا: مع مَن تعمل؟

مرشد: مع رقم «صفر».

أحمد: أعرف ولكنني أسألك عن الآخرين؟

مرشد: أي آخرين؟

ضغط «أحمد» على الباب أكثر، فعلَا صراخُه وهو يقول: أقسم بالله إني ...

أحمد: كاذب.

مرشد: سأقول لك ولكن دعني أنزل.

أحمد: أعطني مسدسك.

فأعطاه المسدس، وقام هو بتجريده من كلِّ ما يحمل من أسلحة ... ثم ألقى به خارج السيارة، وقال له: تكلَّم الآن.

مرشد: سوف تدفع ثمن ذلك غاليًا.

فوضع «أحمد» قدمَه على رقبته، وقال له: وثمن ذلك؟

كاد الرجل يختنق، و«أحمد» يضغط بقدمه على رقبته، وعندما شعر بالموت يقترب منه ... رفع يدَيه مستسلمًا، فرفع «أحمد» قدمه عن رقبته.

وقال له: سأدفع الثمن غاليًا لمن؟

مرشد: لمن أعمل معهم؟

أحمد: ومَن هم؟

مرشد: الذين يريدون البراق!

أحمد: ألَا تعرف مَن هم؟

مرشد: لا أعرف أكثر من أنهم يسيطرون الآن على المطار، وأن زملاءَك الثلاثة تحت أيديهم.

أحمد: وماذا أيضًا؟

وهنا، دفع الرجل قدمه في ضربة لقدم «أحمد»، أخلَّت توازنه، وكاد يسقط على الأرض.

وما كاد يستعيد توازنه، حتى وجد «مرشد» قد استقام واقفًا، ودار حول مسقط قدمه اليسرى، ودفع اليمنى في ضربة قوية في صدر «أحمد»، فطوحَته بعيدًا، ليصطدمَ بجذع شجرة، ويسقط جالسًا بجوارها.

وعندما ارتمَى عليه ... لينتهيَ منه ... قابلَته قدمُ «أحمد» صاروخًا موجَّهًا ... رفعَته عاليًا.

وقبل أن يسقط، كانت رصاصة تخرج من مسدس «أحمد» لتستقرَّ في صدره ... وتُرديه قتيلًا.

فقام بجرِّه ليُداريَه وسط الأشجار، ثم عاد إلى البراق، فركبها وانطلق بها، وفي هذه الأثناء، كان صوت الرصاص قد تردَّد بين جنبات المقر.

فتجمَّع العديد من رجال الأمن، ومثلهم من الشياطين ليستطلعوا الأمر.

فوجدوا «مرشد» ممدَّدًا وسط بركة من الدماء ... فخرجت المسدسات سريعًا من أجربتها ووجهَت للشياطين، في حركة تمرد وعصيان كاملتين.

ورأى الشياطين أنه لا مفرَّ من أن يرفعوا أيديَهم مستسلمين؛ فليس لديهم أوامر بالاشتباك معهم، وليس هناك خطرٌ على حياتهم.

وقام رجال المقر بتقييد الشياطين، وإيداعهم الجراج، وإغلاقه عليهم، ولم تمضِ دقائق إلا وكان «أحمد» قد حضر، وهو يركب شبيهة البراق، وانفتحَت له الأبواب عندما اقترب منها، فعبرها على حذر إلى الممر، وقطعه إلى الجراج، فانفتح بابه ... وما إن عبره، حتى شاهد الشياطين مقيدين ... فخرج من سيارته مهرولًا ليخلصَهم ... فوجد أكثر من مسدس يحيطون به، وأمروه بأن يرفع يدَيه.

وبالفعل، قام برفع يدَيه ... واقترب منه أحدهم ليجرِّدَه من أسلحته، فانزلق تحته، ضاربًا قدمَيه، فسقط الرجل عليه.

وانطلقَت رصاصة، استقرَّت في ظهر الرجل، في الوقت الذي قلص فيه «أحمد» ساقَيه، ووضع قدمَيه في بطن الرجل القتيل، ثم فردها، فاندفع الرجل ليصطدم بزملائه ليسقط بعضهم ... وتطير مسدساتهم في الهواء، فيلتقطها «أحمد».

وتنطلق الرصاصات سيلًا، فتُردي أكثرَهم قتلى.

ولم ينجُ منهم إلا الفارون.

وأسرع بفكِّ قيد زملائه، وطلب منهم استدعاء «رشيد» من فوق سطح المقر، والإسراع بمغادرته؛ فالعاملون يُعدُّون العدة لتفجيره.

وقام الشياطين بجمع حاجياتهم ... وأسرعوا بركوب السيارات المتبقية.

وانطلقوا يغادرون المقر، ومن خلفهم «أحمد» يركب شبيهة البراق.

فقابلوا في طريقهم «عثمان» و«إلهام» و«هدى» و«زبيدة» عائدين بعد إتمام مهمتهم في القبض على رجال أمن المقر الذين طاردوهم.

فاستوقفوهم، وشرحوا لهم ما جرى، من مقتل كبير الخائنين «مرشد»، وما حدث بعد ذلك من تمرُّد وعصيان.

ثم ما رآه «أحمد» مما يقوم به رجال الأمن لتفجير المقر.

فقالت له «إلهام»: لن يحدث.

أحمد: لماذا؟

إلهام: لأنهم ليست لديهم أوامر بذلك.

أحمد: إنهم خرجوا على كل الأوامر.

إلهام: إلا مَن يعملون معهم.

عثمان: بالطبع لا تقصدين المنظمة؟

إلهام: لا بالطبع ... ولكني أقصد عصابة «سوبتك».

أحمد: سوبر تكنولوجي مرة أخرى.

مصباح: إن «قيس» و«ريما» و«فهد» في خطر.

أحمد: علينا أن نُنقذَهم أولًا.

إلهام: إنهم حولنا الآن يراقبوننا، وأرى أن ننصرف نحن ونتركك وحدك، فأنت بغيتُهم.

أحمد: أنا!

إلهام: أقصد السيارة البراق.

وافق «أحمد» على الفكرة، وودع الشياطين؛ حيث تركوه ينتظر مصيرَه وحده، وانطلقوا هم في اتجاه جزيرة اللحد لإنقاذ زملائهم.

الانفجار الرهيب!

ما إن خلَت المنطقة حول «أحمد»، وابتعد الشياطين عنه بمسافة كافية، حتى انطلق يسيرُ على مهل بالسيارة شبيهة البراق.

ولم يعمل حساب أن يكون بقية رجال الأمن في أثره.

فأحاطوا بالسيارة، وعرقلوا سيرَه، وطلبوا منه الخروج منها.

ولو كان يعلم أنهم يريدونها هي فقط ... لما تردَّد في النزول.

ولكنه يعلم أنهم يريدون التخلص منه هو أولًا، وبعد ذلك يستولون على السيارة لصالح «سوبتك».

لذلك، ظل يُراوغهم محتميًا بالسيارة، وهو متأكد من أنهم لن يجرؤَ أحدٌ منهم على مسِّها بسوء.

وظل يسير بها، ويُزحزحهم من مكانها، فيزيد حنقهم وثورتهم، ويُخرج أحدُهم مسدسَه ويُلصقه بالزجاج الأمامي في مواجهة رأسه ... ويشعر «أحمد» باقتراب الموت منه ... ويتابع في قلق ما يدور بينهم من مناقشات ... ويقرأ في عيونهم جميعًا رغبةً واحدة ... وهي قتله، دون أن يعبئوا بالسيارة.

وفي النهاية، اتفق الجميع على قرار واحد، ثم أشاروا كلهم بما يعني: اضغط على الزناد.

وقام الرجل بسحب أمان المسدس، وتحرَّك إصبعه على زناده ... واقتربَت الرصاصةُ من الخروج، واقترب الموت من «أحمد».

لولا صرخةٌ، صاحبَها صوتُ موتور سيارة تأتي مسرعة، يقول صاحبها: ماذا تفعل يا أحمق؟ إنها البراق المعدلة، هل جننتَ؟

ونظر له الرجل، غيرَ عابئ ... ولم تتغيَّر ملامح وجهه، ثم نقل بعده مرة أخرى إلى «أحمد»، الذي اندفع فجأةً بالسيارة في قوة، فأسقط الرجل، وسار خلفه، وانطلق يُغادر المكان بين صرخات زملائه، الذين جروا خلفه محاولين اللحاق به.

ومن الاتجاه الآخر، انطلقَت سيارة رجال العصابة في أثره ... وشعروا أنهم هذه المرة لن يتركوه.

وقبل أن يكتشفوا مكانه، كان قد غاص في بطن الجبل؛ حيث ترك شبيهة البراق على الطريق، ونزل إلى مغارة سرية، تختبئ فيها البراق الحقيقية.

وبعد أن أخرجها، عاد وأدخل مكانها شبيهة البراق.

وانطلق بالبراق، الذي تم تغييرُ لونها، على طريق القنطرة ... إلى جزيرة الموت، وكان يشعر أنه مراقب؛ لذلك، فضَّل ألَّا يستفيد من إمكانياتها، غير أن أطلقَ العنان لمحرِّكِها، محاولًا اللحاقَ بزملائه.

وعلى عجلٍ، قام بإعداد خطة يُنهي بها هذه المهمة ... ثم قام بالاتصال بـ «عثمان» و«إلهام»، وإخبارهم بأن يحاولوا الاتصال بأفراد العصابة ... إذا وصلوا قبله.

وأن يعرضوا عليهم أن يسلموهم البراق المعدلة، على أن يُفرجوا عن زملائهم.

ورأَت «إلهام» أنها تستطيع تنفيذَ الجزء الخاص بها من هذه المهمة بطريقتها الخاصة.

وعندما وصلوا إلى جزيرة «الموت»، أنزلوا القارب المطاطي من حقيبة السيارة، ثم قاموا بملئه بالهواء، وأنزلوه إلى الماء، وركبه كلٌّ من «عثمان» و«إلهام»، وعلى مؤخرته وضعوا موتورًا صغيرًا ... ثم قاموا بإدارته.

وما كاد القارب ينطلق، حتى اقترب من الجزيرة ... فالمسافة بينها وبين الشاطئ قصيرة.

وعندما اقترب منها، انفجر القارب، فعرفَا أن هناك مَن أطلق عليه رصاصة من مسدس كاتم للصوت.

وقد سرُّوا كثيرًا لذلك؛ فقد قصر عليهم الطريق للاتصال بقيادة العصابة، وما إن خطَت أقدامُهم أرضَ الجزيرة، حتى التفَّ حولهم مجموعةٌ من الرجال، واقتادوهم إلى أعلى نقطة فيها ... حيث رأوا كوخًا على الطراز الأوروبي، دفعهم إليه الرجالُ دفعًا.

وفي داخله، وجدوا مجموعة من المقاعد المنفوخة بالهواء ... فعرفوا أنهم في هذه الجزيرة لمهمة محددة وعادلة.

وعلى أحد هذه المقاعد كان يجلس رجل أبيض الشعر، لا يرون غير ظهره.

وما إن شعر بهم، حتى التفتَ إليهم مبتسمًا، فنظر لهم مليًّا، وقال بإنجليزية بارعة: أوَّه، شبابٌ رائع، مرحبًا بكم.

إلهام: أهلًا بكم.

الرجل: أنا أعرفكم جيدًا.

عثمان: ونحن لا نعرفك، ولكن نعرف ماذا تريد.

الرجل: عظيم ... أنت شابٌّ عاقل جدًّا، وأنا سأُفرج عن زملائكم وعن سيارتكم.

إلهام: سيارتنا؟

الرجل: نعم، فما لديكم سيارة شبيهة بها، من صنعنا، وليس لها إمكانيات سيارتكم.

عثمان: ولماذا ستُعطيها لنا؟

الرجل: لأنكم ستعطونني النسخة الأصلية، التي كانت في مقر العريش.

شعرَت «إلهام» أن الرجل يعرف كلَّ شيء، إلا شيئًا واحدًا ... هو أن السيارة التي كانت في المقر نموذجٌ مزيفٌ.

ولكن هذا يعني أن السيارة التي في حوزة «أحمد» نسخة مقلدة أيضًا، ورأَت أن تُجاريَه، فطلبَت منه أن يُعدَّها إذا ما أسلمَته السيارة ألَّا يفتح ملف قدراتها الخارقة ... لأن هناك قمرًا صناعيًّا يراقبها ليحميَها.

ووافق الرجل، واصطحبها إلى حيث قابلَا «قيس» و«ريما» و«فهد»، وقد تم الإفراج عنهم، في مقابل احتفاظه بـ «إلهام» و«عثمان»، حتى تتمَّ الصفقة.

ولكي تكونَ الصفقة متكافئة، اصطحبهم الرجلُ في البراق الأصلية، على أن يسلِّمَها لهم عندما يستلم النسخة التي يعتقد أنها أصلية ... وفي العريين، نزل «عثمان» وحده إلى باطن الرجل، فأخرج السيارة التي أشعلَت حماس الرجل، فقفز يغادر البراق ويجري عليها.

وفي نفس الوقت، عاد «عثمان» سريعًا إلى البراق، فوجد «إلهام» وقد أدارَتها، وقبل أن يتحرك الرجل، انطلقَت هي تدور حوله بالبراق، وعندما أدار محرِّكَها، أفسحَت له الطريق، وتمنَّت له نهاية سعيدة، وفي منتصف الطريق إلى القنطرة، خان الرجلُ العهد، وضغط زرَّ ملف القدرات الخارقة ... فانفجرَت السيارة، في الوقت الذي انفجر فيه المقرُّ السري على الشاطئ الأبيض، فاحترق عن آخره، واحترقَت معه كلُّ ملفات العملية.

لكن الانفجار الأكبر كان في جزيرة الموت؛ فقد أحاطها الشياطين بكمية كبيرة من الألغام ... ووسط كل ذلك، كان «أحمد» يُرسل لرقم «صفر» على البريد الإلكتروني، يقول له فيها: «تمَّت العملية بنجاح».

هنـــداوي